الشيخ الغزالي..والموازين الراجحة

د. محمد عبد النبي
جامعة الأمير عبد القادر

قدر هذه الأمة أن تتطلع دوماً إلى السماء، من خلال نصوص الوحي، وأن تلزم نفسها بالنظر إلى الخلف من خلال تراث الأجداد، وأن تعيش واقعاً لا خيار لها في أن لا تعيشه، بل هي مدعوة لأن تحيا حياة طيبة، ولعل من أسباب التخلف الإعراض عن الواقع أو إنكاره، بحجة التمسك بخبر السماء، أو الانشداد إلى الوراء إكباراً لتراث وإجلالا لأعلام، يرقيان إلى حد الجمود على أو ضاع، تلحق عنتاً بالنفس، وترمي – من غير قصد – شرعاً بأوجه التخلف والقصور.

إن الذي ينبغي أن يطاله التجديد هو النظر إلى هذا التراث لتحديد ما يناسب المبادئ والمقاصد، أو ما يخالفها، ولتنزاح العوائق المفتعلة من أمام انطلاقة مرجوّة، ولتتراجع الفهوم القاصرة، وتخلي السبيل لذوي الكفاءة والإبداع أن يخطو بالأمة قدماً، ويتجاوز والمآزق المصطنعة، لتبقى أثراً بعد عين .

أحسب أن هذا هو الذي سعى من أجله من نحتفي بذكراه اليوم، ودفعته حرقة بادية طيلة حياته لإصلاح خلل ظاهر، واختيار مسار واضح لا تعثر فيه أو تردّد.

لن نفعل شيئا لمن يرفض الشيخ الغزالي كينونة ومنهجاً، وقد لا نفعل إلا القليل أمام من تحبسه التفاصيل، ولا يغوص في منهج يحدد بدأه ومنتهاه، وقد تتخلف عنه مفردة هنا أو هناك.

ولن نفعل شيئا لمن يُبغض الشيخ ويبتغي بذلك الأجر، بحجة الإخلال بالعقائد، أو انتهاك المحرمات، فقد أفتى لنفسه وأخلد إلى كسل يمنعه من إعمال عقل، أو مراجعة ما أشاعته أو هام، ورددته ألسنة وأقلام، يحسبها المشايعون شيئاً، وقد يُفضي بهم المسير إلى سراب خادع.

من واجب الشيخ -رحمه الله- كدارس للتراث، ومن أعبائه كداعية، بل من مسؤولياته كمصلح أن يكون له رأي، وأن ينحاز لمنهج، وأن يقف على الأدواء ويكشف العلل، بل أن يصارح مرضاه ويقسو عليهم إذا لزم الأمر.

ولا يعني هذا الكلام متابعة لا تقف عند خطأ، أو مشايعة تتستّر على الخطيئة، والذي يعنينا هو الوقوف على نهج قد لا نوافق على كل خياراته.

وما الذي يَضير الشيخ - في ضوء ما سبق- أو يَشينه إذا استوقفه منطوق حديث يصادم نصاً صريحاً في كتاب الله، أو معلوماً من الدين تظاهرت عليه النصوص والأدلة.

أين المخالفة في نهج يبغي عرض النصوص على كتاب الله، يقوم به علماء، اشتهرت عدالتهم، وزكت سيرهم، أليس للغزالي سلف في كبار الصحابة؟ ألم يتوقفوا في قبول ما يُتلى عليهم من أحاديث نُسبت للرسول صلى الله عليه وسلم، حتى جاء بها من يشهد عندهم بالسماع؟

لعل أو ل من أصّل لهذا النهج هي السيدة عائشة، وتكرر ذلك منها حتى صُنف فيه كتاب جُمع فيه ما استدركته على كبار الصحابة،ويشاء الله أن يكون هذا النهج على يد امرأة لا يزال كثير من أتباع هذا الدين يأبى لها مثل هذا الموقع، أو دونه بكثير.

والرجل ليس محدثاً ولا ناقداً، وغايته تحديد موقف من بعض التراث، يراه جديراً بالاقتفاء،إن أريد للأمة أن تنهض، أي أنه يعرض للأدواء في معرض البحث عن سبيل للنجاة، ولا علاقة لهذا بالغوص في المتون والأسانيد. بينما ينطلق غيره من تصيّد عثرة هنا أو هناك، بعيداً عما سبق، أو باقتطاع كلام من السياق، يوضَع في إطار قالب مُعدّ سلفاً، ليخرجوا بحكم في غير صالح الرجل، يشيعونه بين الناس.وقد يعمد أمثلهم إلى إدراج الرجل ومنهجه ضمن طائفة يخلع عليها اسم المدرسة أو المنهج العقلي، ويكفي مجرد إصدار مثل هذا الحكم الابتدائي والمجمل في أمكنة وأزمنة معينة لصرف الأتباع -المهيّئين سلفاً- عن الرجل وما يقول.

إنهم يبتعدون عن أغراض العلم، وينتقصون من أقدار الرجال، ويخلّون بمراتب الطاعات، وقد يهوي بهم الفعل في دركات المعاصي.

كان يمكن أن يُتَّهم الرجل، أو أن يُقبل ما يُرمى به لو انصبّ اهتمامه على نفر من الناس دون سواهم، أو على مسائل جزئية غير ملتفت للقضايا الكبرى، أما وأن جهاد الرجل في مواجهة التنصير والتهويد والعلمنة مشهود ومشهور- في مقابل من تخلو صحائفهم من أي إنجاز- فإنه كان كفيلاً بالشفاعة له عند كِرام الناس.

ولندع بعض الخطوط العريضة تعلن عن نفسها من خلال ما يقوله الرجل: " ... وقد أو جع فؤادي أن بعض الشباب كان يهتم بهذه المسألة ..هل لمس المرأة ينقض الوضوء أم لا؟ وأن اهتمامه أحدّ وأشدّ من إجراء انتخابات حرة أو مزورة!! إن السلطات المستبدّة قديما وحديثا تضرّها الخلافات العلمية التي لا تمسّها! هل الشك ينقض الوضوء أم لا ؟ هل رؤية الله في الآخرة ممكنة أو ممتنعة؟ هل قراءة الإمام تكفي عن المصلين أم لا تكفي؟

إن حكام الجور يتمنون لو غرق الجمهور في هذه القضايا فلم يخرج !لكنهم يشعرون بضرر بالغ عندما يُقال: هل الدولة لخدمة فرد أم مبدأ؟ لماذا يكون المال دولة بين بعض الناس؟ هل يعيش الناس كما وُلدوا أحراراً أم تستعبدهم سياط الفراعنة حيناً ولقمة الخبز حينا؟...

إن عدم سيطرة الحقائق الكبيرة عن الوعي لا يمكن التغاضي عنه!!"(1)

وفي ربط بيّن بين هذا الفهم وبين صحائف في التراث أفضت إليه يقول الرجل: " لقد شاعت الأقوال الضعيفة والمذاهب العسرة، ورجحت الآراء التي كانت مرجوحة أيام الازدهار الثقافي الأول، حتى وهل الناس أن الإسلام إذا حكم عاد إلى الدنيا التزمت والجمود."(2)

إن كلام الشيخ واضح بأنه يقصد التركيز على صغائر الأمور تستغرقنا، وإهمال الجليل منها، نهابه أو يهابنا، إنه يلفت النظر إلى خطر الإخلال بالأولويات، أو ازدراء فقه الموازنة الذي يلجأ إليه عادة العقلاء عندما تتزاحم عليهم الخيرات لانتقاء أفضلها، أو تقوى الشرور لاجتناب

أسوئها. وليس صحيحا ما يشيعه خصوم الرجل من أنه يزهد في السنن أو يزدريها، فقد ناصبوه العداء قبل أن يكتب ما كتب. بل الصحيح أنه يمقت نهجاً يعلي من شأن فقه البعوض على حساب الدم المهدور .

ما العيب في أن يحتكم الغزالي وغيره إلى كلام الله كما يفهمه، وكما يفهم مبادئ هذا الدين ومقاصده. إذا رأى أن ظاهر الحديث يخالفه، وقد قالت عائشة تعقيباً على حديث عمر: " إن الميت يُعذّب ببعض بكاء أهله عليه ": يرحم الله عمر، والله ما حدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يعذب المؤمن ببكاء أحد. ولكن قال: " إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه". قال: وقالت عائشة: حسبكم القرآن: ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾ "(3)

قال الزركشي: " واعلم أن تعذيب الميت ببكاء أهله عليه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم عمر وابن عمر. وأنكرته عليهما عائشة، وحديثها موافق لظاهر القرآن. وهو قوله سبحانه: لا تزر وازرة وزر أخرى وموافق للأحاديث الأخر في بكاء النبي صلى الله عليه وسلم على جماعة من الموتى. وإقراره على البكاء عليهم. وكان صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين. فمحال أن يفعل ما يكون سببا لعذابهم أو يقر عليه.وهذا مرجح آخر لرواية عائشة. وعائشة جزمت بالوهم..."(4)

ثم ذكر أن مما يؤكد قول عائشة أنه عليه السلام " قال لرجل مات يهوديا: إن الميت ليعذب..بلام العهد. فالظاهر أن ابن عمر خفي عليه موت اليهودي فحملها على الاستغراق..."(5) ولم تكتف السيدة عائشة بمجرد التوهيم حتى أو ردته في سياق من السخرية لما بلغها " أن ابن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن فقالت:عجبا لابن عمرو، يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن؟أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن..."(6)

بل إن بعض الصحابة احتكم إلى معرفته بطبائع الأمم والشعوب في معرض التثبت من حديث ساقه له صحابي آخر هو المستورد القرشي. وفيه يقول:سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول: "تقوم الساعة والروم أكثر الناس..." فقال له عمروبن العاص مستوثقا: أبصر ما تقول...فلما أكد له السماع من الرسول صلى الله عليه وسلم قال له عمرو مبينا وجه الغرابة ومستشكلا: "لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالا أربعا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة ،وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة ،وأو شكهم كرة بعد فرة ،وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك."(7) " وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، فقال له تلميذه عكرمة: أليس الله يقول: ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾...

وفي الصحيحين من حديث مسروق قلت لعائشة: يا أمتاه هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت:﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ "(8)

وفي رواية أخرى: " .. أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾".

وقال الزركشي معقبا: " وهذا قاطع في هذه المسألة، إذ صرحت فيه بالدفع ".(9)

وفي معرض استدلاله على أن المقصود من الرؤية المذكورة في سورة النجم -: ﴿ ولقد رآه بالأفق المبين﴾،﴿ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ - إنما هو جبريل وليس الله نقل تأويلا غريبا عن ابن خزيمة ورد عليه فقال: " ونقل عن ابن خزيمة أنه قال في كتاب التوحيد له: إنه صلى الله عليه وسلم إنما خاطب عائشة على قدر عقلها!! ثم أخذ يحأول تخطئتها، وليس كما قال، فقد جاء عن غيرها ذلك مرفوعا إلى النبي صلى اله عليه وسلم منهم ابن مسعود... وأبوذر ..." (10)

ونقل بعد أن أو رد رواية ابن حبان في قوله صلى الله عليه وسلم: " نورا أنى أراه " قال: " معناه أنه لم ير ربه...".(11)

وأو رد رواية أحمد في المسند: رأيت نورا أنى أراه.ثم قال: " وهو مصرح بنفي الرؤية إذ لو أراد الإثبات لقال: نعم أو رأيته، ونحو ذلك "(12) - أي في معرض الجواب على السؤال - ثم

رد على ابن خزيمة فقال: " وهو يرد قول ابن خزيمة (أن الخطاب وقع لعائشة على قدر عقلها)ولهذا لم يجد ابن خزيمة عنه ملجأ إلا أنه كان يدعي انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وأبي ذر فقال: وفي القلب من صحة مسند هذا الخبر شيء..." (13)ثم قال الزركشي في ختام المبحث: "...وأما قول الإمام أحمد: ما زلت منكرا لهذا الحديث وما أدري ما وجهه فقال بعض الأئمة: لا نعرف معنى هذا الإنكار. وقد صح ذلك عن أبي ذر وغيره.."(14)

هذا هو الأصل الذي ينبغي أن يناقش فيه الغزالي رحمه الله، فهل أخطأ فيما ذهب إليه؟ أو استباح حرمة نص يمنع الحسم في دلالته وثبوته من تنأوله والاجتهاد فيه؟وهل صنيعه إلاّ تقليد سبقه إليه أئمة أعلام،بل صحابة كرام؟نعم، قد يخطئ الغزالي – كغيره – في بعض التطبيقات أو الجزئيات فيكون قد خالف الأولى، أو انحاز إلى مرجوح ،أو رغب عن جمع قد يكون أهدى سبيلا، وقد يفضي به حماس معهود إلى التعبير بلغة تنقاد له، ويقود بها،يصيب رذاذها بعض من نحب ونكبر ،فينبري نفر منا للدفاع بحجج قد لا يشوبها ريب، أو يعلو ساحتها غبار،لكن أن يتوسل بما يثير العواطف ويصرف عن التدقيق في النهج – للنيل ممن نترقب له أدنى زلل، أو نتصيد له بعض اللمم ،نحيله في الخطاب إلى كبائر تجتنب ،لإدراجه في قوائم لا تفتأ تستقبل الأعداء والخصوم–فهذا هو الظلم الذي نأباه للأنداد والأقران ،فضلا عن ذوي الأقدار، بل هو التطأول الذي غدا سمتا يطبع من لا حظ له في علم أو خلق.

هل يطعن في السنة من يقول: " إن نقد المرويات كلها، ووضع الرجال كلهم في مختبرات الجرح والتعديل، بلغ في ثقافتنا مداه، فكيف يجيء امرؤ خالي البال، خالي الوفاض ليقول في نزق: أنا أرفض السنة. وكيف يجيء آخر فينظر في القرآن نظرة الفلاح في كتاب فلك ثم يقول، هذا نصّ معطل "!(15) هل يوضع قائل هذا الكلام جنباً إلى جنب مع أبي رية وأمثاله؟

وذكر الشروط التي وضعها علماء الحديث لقبول الحديث ثم علق قائلاً: " وهذه الشروط ضمان كاف لدقة النقل وقبول الآثار. بل لا أعرف في تاريخ الثقافة الإنسانية نظيراً لهذا

التأصيل والتوثيق...وقد توفر للسنة المحمدية علماء أو لو غيرة وتقوى بلغوا بها المدى، وكانت غربلتهم للأسانيد مثار الثناء والإعجاب، ثم انضم إليهم الفقهاء في ملاحظة المتون، واستبعاد الشاذ والمعلول."(16)

لقد تكلم الدار قطني في العشرات من الأحاديث التي حواها الصحيحان، وأو رد كلامه الحافظ ابن حجر وناقشه في طعونه، ووفق الحافظ في أكثر دفاعه، أي أن الناقد الكبير جانبه الصواب في أكثرها، ومع ذلك لم يحفظ لنا علم الجرح والتعديل أو التراجم طعنا في الرجل أو انتقاصا من قيمته، أو اتهاما في دينه أو عدالته ؟

وليس الدراقطي وحده الذي انتقد أحاديث في الصحيحين، فهناك أيضا أبو مسعود الدمشقي والغساني، وهناك ملاحظة عابرة تحتاج إلى تبين وتأكد، فالدارقطي المتوفى سنة 385 لم تسجل ردود العلماء عليه -من حيث الجملة-إلا مع ابن الصلاح المتوفى سنة 643 ،ولم يناقشها -بالتفصيل-إلا الحافظ ابن حجر المتوفى سنة 852؟

قال ابن حجر: " واختلف كلام الشيخ محي الدين في هذه المواضع فقال في مقدمة شرح مسلم ما نصه: فصل: قد استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث أخلا فيها بشرطهما، ونزلت عن درجة ما التزماه، وقد ألف الدارقطي في ذلك، ولأبي مسعود الدمشقي أيضا عليهما استدراك، ولأبي علي الغساني في جزء العلل من التقييد استدراك عليهما ،وقد أجيب عن ذلك أو أكثره.انتهى.

وقال في مقدمة شرح البخاري: فصل: قد استدرك الدار قطني على البخاري ومسلم أحاديث فطعن في بعضها، وذلك الطعن مبني على قواعد لبعض المحدثين ضعيفة جدا،مخالفة لما عليه الجمهور من أهل الفقه والأصول وغيرهم، فلا تغتر بذلك. انتهى كلامه.وعلق الحافظ بقوله: " وسيظهر من سياقها والبحث فيها على التفصيل أنها ليست كلها كذلك، وقوله في شرح مسلم: وقد أجيب عن ذلك أو أكثره: هو الصواب. فإن منها ما الجواب عنه غير منتهض.. ." (17)

لا ريب أن الشيخ الغزالي هاله خطاب يتنامى، رقي المنابر وكسب الأنصار، تحوطه عنايات تتعدّد أغراض القائمين عليها. على الرغم من تشبّثه بالظواهر في عصر تتسارع فيه إبداعات العقول. فانصبّ خطابه – في المقابل – على ما يعتقد أنه انتصار للعقل، وإشاعة للمقاصد، في ظل النصوص كلها. وبعيداً عن هواية الترجيح .

لقد بثّ ما لا نجرؤ على التصريح به في بعض الأحيان عندما تستوقفنا معان في نصوص تُستشكل. فنمرّ عليها مرور كرام تمنعهم هيبة مصدر وإطباق أمة . من استرسال لا نضمن أن يفضي بنا إلى المأثم فيما نبدي أو نسرّ.

إن السيدة عائشة لم تكن تحت ضغط الواقع عندما واجهت أبا هريرة في حديث الهرة المشهور بقولها: " المؤمن أكرم عند الله من أن يعذّبه من جرّى هرة. أي إ المرأة مع ذلك كانت كافرة. يا أبا هريرة إذا حدثت عن رسول الله فانظر كيف تحدث."(18)

ولم تكتف السيدة عائشة بمواجهته بما يقيد الرواية فيما يحفظ، بل احتكمت إلى ما تعرفه من مراد الله. وقدْر المؤمن عنده، ثم وجّهته إلى التدبر فيما يسمع حتى يستوثق مما ينقل!؟

قد يُقال إن الواقع أنسب لإبقاء الحديث على إطلاقه. والغزالي ومن على شاكلته يتحسبون لوطأة الواقع. ويكون ظاهره أدل على رحمة الإسلام، وأسبق عناية بالحيوان من جمعيات الرفق بها!. ثم إن حمله على الكافر وربط الجناية في دخول النار بالحبس إهدار لخطيئة الكفر، وإخلال بيّن بمراتب العصيان. يصيب العقل في مقتل. قد يكون أقرب إلى نقيض قصد يُبتغى به خدمة الدين.

إن الموازنة بين الأمرين –في ظل انتفاء القرائن– ترجّح اعتبار القيد في الحديث، حتى لا يكون إصرار أبي ذر على السؤال في حديث: " ...وإن زنى وإن سرق ..." في مواجهة حديث الهرة. ويختلّ بذلك فقه الشعب في المخالفة والالتزام. وتفقد الكبائر منزلة تُجتنب ، لحساب لم

قد لا يكون سياقه إلا تنبيهاً على ضرورة استشعار خطر المعصية وإن دقت. والطمع في رحمة الله حتى مع الموبقات. في استثناء يؤكد القواعد ولا يلغيها.

عندما يسود التخلف وتغشى الناس أجواؤه .حتى تؤلف .يقنعون النفس بمعارك ينشئونها. أو تذكى لهم.يضفون عليها أو صافاً وألقاباً تُشعر بالخطورة. أو يجعلون منها نزالاً لا مناص من خوضه ضد" العدو" الأدنى. وتتلهّى الأطراف بمشهد يرقبه من يوظفه ويخدمه. لضبط ساحة تضمن البقاء. وقد ينجح في صنع مرجعيّة للاحتكام. تسمح له بالخلود إلى الراحة والاطمئنان.

والنفس إن لم تشغل بالمعالي. شغلت صاحبها بما دونها. ويخدع النفس من يدّعي الجمع بين الأمرين. للإيهام بالقدرة على تجأوز الخطوط التي تُرسم. أو إجادة الصراع في أكثر من ساحة أو ميدان. فالكأس لا يمكن ملؤها بنوعين من السوائل. ويحتفظ كل سائل بخصائصه .

هذه المعارك الوهمية هي التي حذر منها الشيخ الغزالي. إذ وجد – من خلال النظر في التاريخ والتراث –أن العدو لم يتسلل إلى الديار إلا عندما تشاغل الناس عنه أو شُغلوا بما يحط من شأنهم وأقدارهم.

وذهب أبعد من ذلك عندما ساق من أقوال السلف ما يبيّن أن التخلف حين يحل بأرض لا يسلم من ريحه حتى العلماء. فيمنعهم العجز عن إظهار طبائع السوء. ولو مُكنوا لفاقوا الأغيار في الإعلان عما تنطوي عليه الجوانح.

فقد ذكر الشيخ عن ابن عقيل قال: "رأيت لناس لا يعصمهم من الظلم إلا العجز. لا أقول العوام بل العلماء. كانت أيدي بعض الحنابلة مبسوطة في أيام ابن يوسف – الحاكم السابق – فكانوا يتسلّطون بالبغي على أصحاب الشافعي في الفروع – التي يخالفونهم فيها – حتى لا يمكنوهم من الجهر بالقنوت. وهي مسألة اجتهادية... فلما جاءت أيام النظّام ومات ابن يوسف. وزالت شوكة الحنابلة استطال عليهم أصحاب الشافعي استطالة السلاطين الظلمة.فاستعدوا عليهم. وآذوا عامتهم بالسعايات. والفقهاء بالنبذ والاتهام بالتجسيم.قال ابن

عقيل: فتدبرت أمر الفريقين، فإذا هم لم تعمل فيهم آداب العلم، وهل هذه لا أفعال العسكر؟ يصولون في دولتهم ويلزمون المساجد في بطالتهم." (19)

قال الشيخ: " يحدث هذا التمزق في الأمة الإسلامية. والعالم الصليبي يحترق شوقا إلى ضرب الإسلام في عقر داره ومحو أعيانه وآثاره...إن العري عن الأخلاق وإبطان الكره للآخرين، والعجب بالنفس هو الجريمة التي ارتكبها نفر من فقهاء الفروع، غرتهم بضاعتهم فقدموها للناس مقرونة بالغلو، ولم يبالوا بما تتركه من فرقة."(20)

وتحت عنوان " ما أشبه الليلة بالبارحة " يقول رحمه الله: " إني أرى العلل القديمة تتجمع، ونذر العاصفة المدمرة تبدو في الأفق البعيد، بل إن الأعداء شرعوا في الهجوم، والأرض الإسلامية تنتقص من أطرافها، والخطط توضع لضرب القلب بعد قص الأجنحة ..."(21) ثم يشير إلى نجاح الصليبيين في تنصير أربعة أخماس الفلبين، فهال هي نفس الظروف. ألغت المسافات، وأعادت صناعة الأزمات. ليشرع من أشار إليهم الشيخ في العمل في عقر الدار. " إن أي امرئ يشغل المسلمين (بمثل ما سبق)...إما منافق يمالئ العدو ويعينه على هزيمتنا، وإما أحمق يمثل دور الصديق الجاهل. ويخذل أمته من حيث لا يدري، وكلا الشخصين ينبغي الحذر منه وتنبيه الأمة إلى شره ."(22)

إن الذي يديم غض البصر، لن تقع عيناه إلا على النفايات تطوح بها الرياح، والذي يتحسب كثيرا لمن يصدمه من الخلف لن يخطو كثيرا إلى الأمام، وأين مثل هذا الصنف من ابن الجوزي " ينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور:الذي ينقل عنه الغزالي قوله للآدمي صعود السمأوات لرأيت من أقبح النقائض رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت القصر في تحصيلها في حضيض."(23

يقول الشيخ معلقا: " إن هذه الصيحة الشماء من وحي الإيمان الحق. ومن خصائص التربية الإسلامية في الشروق المحمدي الأول. وهو الشروق الذي قاده رجال أصحاب عزمات شداد. وآمال عراض. فطوروا في سياحتهم المشارق والمغارب."(24)

إن هذه النصوص لن يقع عليها من ينقب في فضلات الأفكار. أو من يتسقط ثمرات اللجج والحجاج. إذا صادفها أو صادفته. مر عليها كأن لم يرها أو لم تره. فالأواني لن تنضح بغير ما حوته. وحصائد الألسن تكشف معادن الرجال. فإما رفعة وسموق.أو غير ذلك مما لا نحب ولا نشتهي.

الإحالات

(1)- محمد الغزالي-السنة النبوية بين أهل الفقه..وأهل الحديث-دار الشروق-بيروت-القاهرة-الطبعة الأولى-1989-ص:9

(2)- المرجع نفسه

(3)- بدر الدين الزركشي-الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة-تحقيق وتعليق:سعيد الأفغاني-المكتب الإسلامي- بيروت -الطبعة الثانية—1970-ص:77

(4)- المصدر نفسه-ص:102-103

(5)-المصدر نفسه ص:103

(6)-المصدر نفسه ص:111

(7)- مسلم بن الحجاج-الجامع الصحيح-بشرح النووي-دار الفكر-بيروت-لبنان-الطبعة الثانية-1978-كتاب الفتن وأشراط الساعة-(باب تقوم الساعة)22/18

(8)-الزركشي-الإجابة:مصدر سابق:95-96

(9)-المصدر نفسه

(10)-المصدر نفسه:96-97

(11)-المصدر نفسه:97

(12)-المصدر نفسه: 97-98

(13)-المصدر نفسه: 98

(14)-المصدر نفسه: 99

(15)-محمد الغزالي-الغزو الثقافي يمتد في فراغنا-مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة-عمان-الأردن-الطبعة الأولى-1985-ص: 187

(16)-محمد الغزالي-مرجع سابق ص: 15

(17)-ابن حجر العسقلاني-هدي الساري: مقدمة فتح الباري-تصحيح وإشراف: عبد العزيز بن باز-نشر وتوزيع: رئاسة إدارة البحوث العلمية...ص: 346.

(18)-الزركشي-مصدر سابق: 118

(19)-محمد الغزالي-هموم داعية-دار البشير -القاهرة- الطبعة الثانية-1405-ص50

(20)-المرجع نفسه

(21)-المرجع نفسه: ص 51

(22)-المرجع نفسه: ص52

(23)-محمد الغزالي-مشكلات في طريق الحياة الإسلامية-كتاب الأمة-رئاسة المحاكم الشرعية-قطر-1402-ص: 41

(24)-المرجع نفسه ص: 41-42